

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ

يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: 72 - 73]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا بَيَّنَّتِ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ تَمَسُّكَ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ بِأَصْنَامِهِمْ وَالتَّعَلُّقَ بِمَعْبُودَاتِهِمْ الْبَاطِلَةَ بِالتَّزَامِهِمُ الْعُكُوفَ عَلَى عِبَادَتِهَا، نَاسَبَ بَيَانُ مَوْقِفِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ مِنْ ذَلِكَ، فَأُخِذَ يُزْهِدُهُمْ فِيهَا، فَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُ: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾⁽¹⁾، فَهُوَ انْتِقَالٌ مِنَ السُّؤَالِ الْعَامِّ إِلَى السُّؤَالِ عَنِ التَّفَاصِيلِ بِغَرَضِ الْإِقْتِنَاعِ.

الانتقال من
السؤال العام
إلى السؤال
التفصيلي

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾: (سمع) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِيْنَاسِ الشَّيْءِ بِالْأُذُنِ، مِنَ النَّاسِ وَكُلِّ ذِي أُذُنٍ، تَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّيْءَ سَمْعًا⁽²⁾، وَيَأْتِي السَّمْعُ بِمَعْنَى الْإِجَابَةِ، يُقَالُ: سَمِعَ، أَي: أَجَابَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ سَمِعَ أَجَابَ⁽³⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ أَي: هَلْ يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ⁽⁴⁾، وَبِمَعْنَى: هَلْ يَجِيبُونَكُمْ⁽⁵⁾.

(2) ﴿تَدْعُونَ﴾: (دعو) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى أَنْ تُمِيلَ الشَّيْءُ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ، تَقُولُ: دَعَوْتُ أَدْعُو دُعَاءً، وَيُحْمَلُ عَلَى الْبَابِ مَجَازًا أَنْ يُقَالَ: دَعَا فُلَانًا مَكَانًا كَذَا، إِذَا قَصَدَ ذَلِكَ الْمَكَانَ، كَأَنَّ الْمَكَانَ دَعَاهُ، وَهَذَا مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ⁽⁶⁾.

وَالدُّعَاءُ كَالنِّدَاءِ، وَالدُّعَاءُ لَا يَكَادُ يُقَالُ إِلَّا إِذَا كَانَ مَعَ الْأَسْمِ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 48/14.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سمع).

(3) ابن الأثيري، الرّاهر: 59/1.

(4) أبو علي الفارسي، للسائل الحليّات، ص: 83، والأخفش، معاني القرآن: 2/646، وأبو عبيدة، مجاز القرآن: 87/2.

(5) ابن جرير، جامع البيان: 84/19، وابن الأثيري، الرّاهر: 59/1.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دعو).

نحو: يا فلان، قال تعالى: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: 56]، ودَعَوْتَهُ: إذا سألته، وإذا استغثته، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: 68]، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ (1).

(3) ﴿يَنْفَعُونَكُمْ﴾: (نفع) كلمة تدلُّ على خلافِ الضَّرِّ (2)، والنَّفْعُ: ما يُسْتَعَانُ به في الوصولِ إلى الخَيْرَاتِ، وما يُتَوَصَّلُ به إلى الخير فهو خيرٌ، فالنَّفْعُ خيرٌ، وضدُّه الضَّرُّ، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: 188]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ [هود: 34] (3)، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾ أي: يَرْزُقُونَكُمْ (4)، أو يَنْفَعُونَكُمْ بَوَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ النَّفْعِ (5).

(4) ﴿يَضُرُّونَ﴾: (ضرَّ) ثلاثةُ أصولٍ: الأوَّلُ خِلافُ النَّفْعِ، والثَّانِي: اجْتِمَاعُ الشَّيْءِ، والثَّالِثُ الْقُوَّةُ (6)، وضارُّه بالتَّشْدِيدِ بمعنى ضَرَّةٍ، والاسْمُ: الضَّرَرُ، والضَّمُّ الهُزَالُ وَسُوءُ الْحَالِ، إمَّا فِي النَّفْسِ، أَوْ فِي الْبَدَنِ، أَوْ فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَالضَّرُّ: ضِدُّ النَّفْعِ، وَالضَّرَاءُ: الشَّدَّةُ، اسْمٌ مَوْثُتٌ مِنْ غَيْرِ تَذْكِيرٍ (7)، ومعنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ أي: يَمْلِكُونَ لَكُمْ ضَرًّا (8)، أو يَضُرُّونَكُمْ إِذَا تَرَكْتُمْ عِبَادَتَكُمْ لَهَا (9).

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

تُبَيِّنُ الْآيَةُ طَرِيقَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى قَوْمِهِ الَّذِينَ

الحوار المقنع
هو طريق أبي
الأنبياء في
إيصال الحق
للمدعوين

(1) الزَّاعِبُ، المفردات: (دعا).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نفع).

(3) الزَّاعِبُ، المفردات: (نفع).

(4) الواحدي، الوسيط: 355 / 3 عن ابن عباس ؓ.

(5) الشَّوْكَانِي، فتح القدير: 138 / 3.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضر).

(7) الزَّاعِبُ، المفردات، والزَّازِي، مختار الصحاح: (ضرر).

(8) الواحدي، الوسيط: 355 / 3.

(9) الألويسي، روح المعاني: 92 / 15.

يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فيقولُ لهم: هل يسمعونَ أصواتكم وقتَ دُعائكم لهم⁽¹⁾؟! وهل هذه الأصنامُ التي تُقيمونَ على عبادتها مُستمرّين، ينفعونكم بسببِ عبادتكم لها، أو يضرّونكم بترككم لعبادتهم؟ إذ لا بدَّ للعبادة لا سيّما عند كونها على ما وصفتُم من المبالغة فيها من جلبِ نفع، أو دفعِ ضرر⁽²⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

عِلَّةُ فصل الجملة عما قبلها:

لما سأل إبراهيم ﷺ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، فأجاب قومه: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنكِفَيْنَ﴾، وأراد أن يبيّن عيبَ فعلهم مُنبِّهاً على فساد معتقدهم قال: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ﴾، ففصلت الآية لأنّها استئنافٌ بيانيٌّ مبنّيٌّ على سؤالٍ نشأ من تفصيلِ جوابهم⁽³⁾.

غرض الاستفهام ودلالته:

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ﴾ لافتتاحِ المُجادلةِ معهم؛ ولأجلِ ذلك كان الاستفهامُ مُقترِناً بما يقتضي التّعجبَ من حالهم⁽⁴⁾، فهو استفهامٌ إنكاريٌّ، وهو أقوى من الهمزة في الاستفهام، كما لو قيل: (أيسمعونكم).

بلادةُ المجاز بالحذف:

جعلَ مفعولُ ﴿يَسْمَعُونَكُمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ﴾ ضميرَ المخاطبين، توسّعاً بحذفِ مُضافٍ، تقديرُه: (هل يسمعون دُعاءكم؟)، أو يكون التّقديرُ: (يسمعونكم تَدْعُونَ)؛ حذِفَ لدلالةِ قوله: ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ عليه⁽⁵⁾، وما جاء عليه النّظم أبلغ من

طريقةُ المحاورات
تقتضي الفصل
بين الأقوال

افتتاحُ المُجادلةِ
بالاستفهام
مُقرّناً بالتّعجب

النفْيُ عن
الأصنام
مطلقُ السّماع
وخصوصُ
الإجابة

(1) الشّوكاني، فتح القدير: 3 / 138.

(2) الألوسي، روح المعاني: 15 / 92.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24 / 510، وأبو السّعود: 6 / 247.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19 / 138، والهرري، حقائق الرّوح والزّيجان: 20 / 219.

(5) الرّمخسري، الكشّاف: 3 / 318، والبيضاوي، أنوار التّنزيل: 4 / 140، وأبو حيّان، البحر للحيط: 8 / 163.

التقدير، ذلك أنَّ فيه تشويقًا لما بعده، لأنَّ السَّماعَ عامًّا، فجاء ما بعده تخصيصًا بالدُّعاء، فيكون نفى عنهم السَّماعَ مُطلقًا، ثم نفى عنهم الاستجابة لدعائهم.

وعليه فيحتمل قوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ السَّماعَ نفسَه، أي: هل يسمعون دعاءكم إذ تدعونهم؛ كقوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: 14]، ويحتمل معنى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ أي: هل يجيبونكم إذ تدعونهم⁽¹⁾؛ وكلا المعنيين سائغ في هذا المقام، فالتقدير: (هل يسمعون دعاءكم حين دعوتموهم وهل يجيبونه)⁽²⁾.

نكتة تقييد المضارع بالظرف:

حكاية الحال
للماضية أبلغ في
التبكي

قيّد الفعل المضارع ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ بالظرف ﴿إِذْ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ على حكاية الحال الماضية، لاستحضار صورتها؛ كأنه قيل لهم: استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها، وأجيبوا: هل سمعوا أو أسمعوا قط؟! وهذا أبلغ في التبكي⁽³⁾، أي: استحضروا أحوالكم معهم من أوّل عبادتكم لهم وإلى الآن: هل سمعوكم وقتًا ما؟ ليكون ذلك مرجّيًا لكم لحصول نفع منهم في وقتٍ ما⁽⁴⁾؛ فجاء بالمضارع لبيان استمرار أحوالهم في دعاء أصنامهم وعبادتها مع عدم سماعها وإجابتها لهم.

نكتة تقديم ذكر النفع على الضر:

أهل الأهواء
يهرولون نحو
جلب نفعهم

لما كان شأن الربّ تعالى أن يُلجأ إليه في الحاجة، وأن ينفع أو يضرّ؛ ألقي إبراهيم عليهم استيفاهما عن حال هذه الأصنام: هل تسمع دعاء الداعين؟ وهل تنفع أو تضرّ؟ تنبيهًا على دليل انتفاء

(1) اللاتريدي، تأويلات أهل السنة: 63/8.

(2) الجاوي، مراح لبيد: 150/2.

(3) الزمخشري، الكشاف: 318/3، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 141/4، وأبو حيان، البحر المحيط: 163/8.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 49/14.

الإلهية عنها⁽¹⁾، إذ لا بد للعبادة من مقصدٍ من هذه المقاصد، حيث كانت على ما وصفتُم من المبالغة فيها والحفاوة بها والإقامة عليها، فهل لأصنامكم التي آثرتموها بالعبادة صفة النفع أو الضرر؟ وقُدِّم النفع على الضرر في قوله تعالى: ﴿يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾؛ لأنه المقصود بالدعاء في جلب الخيرات.

فَنُ بَدِيعِ الطَّبَاقِ:

في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ طباقٌ، وجيء به لإتمام الحجة القاطعة والحقيقة الساطعة الدالة على ضعف معبوداتهم وسُفول رُتبتها حتَّى في مُقابلة عابديها.

نَكْتَةُ تَقْيِيدِ فِعْلِ النَّفْعِ وَإِطْلَاقِ فِعْلِ الضَّرِّ:

قُيِّدَ النَّفْعُ بِالضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَنْفَعُونَكُمْ﴾، أَي: أَنْتُمْ، وَأُطْلِقَ فِعْلُ الضَّرِّ ﴿يَضُرُّونَ﴾، أَي: يَضُرُّونَكُمْ أَوْ غَيْرَكُمْ، أَي: لَا يَضُرُّونَكُمْ وَلَا يَضُرُّونَ عَدُوَّكُمْ، فَلَمَّا ذَا تَعْبُدُونَهَا؟ فَقُيِّدَ النَّفْعُ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَرِيدُهُ لِنَفْسِهِ فَحَسَبَ، وَأُطْلِقَ الضَّرُّ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْعُمُومَ فَهُمْ لَا يَضُرُّونَ غَيْرَكُمْ فَضَلًّا أَنْ يَضُرُّونَكُمْ؛ فَالْحَذَفُ لِلْعُمُومِ، فَإِمَّا: يَضُرُّونَكُمْ إِنْ لَمْ تَعْبُدُوهُمْ، أَوْ يَضُرُّونَ عَدُوَّكُمْ إِذَا عَبَدْتُمُوهُمْ⁽²⁾.

أبلغ بيان في بلوغ
غاية الضعف
والسُفول

النفع مطلوب
النفس والضرر
يعم غيرها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 139 / 19.

(2) العثيمين، تفسير سورة الشعراء، ص: 155.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 38، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-80-8

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

مج. 38: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95.

1- القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-80-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»